التوحيد
أو
العقائد الإسلامية

بقلم

محمد احمد العدوى

من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

سنة ١٩٣٢

المطبعة الرحمانية بمصر
بالخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

التوحيد

أو

العقائد الإسلامية

محمد احمد العدوى

من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

سنة ١٩٣٢

المطبعة الرحمانية بمصر

بالخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥٩٥٢٢

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم يُسبحُ لله ما في السموات وما في الأرض له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قديرٌ «١» هو الذي خلقكم فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ والله بما تعملون بصيرٌ «٢» خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقّ وصوّركم فأحسنَ صُوَرَكم وإليه المصيرُ «٣» يعلمُ مافي السمواتِ والأرضِ ويعلمُ ما تُسرّون وما تُعلِنونَ واللهُ عليمٌ بذاتِ الصُّدور «٤»(١)

وبعد فقد مضى على المسلمين زمن غير قليل ومرجعهم في عقائدهم كتاب ربهم ثم جاء دور التدوين والتأليف فأضافوا إلى آيات العقائد شيئاً من الآثار إلى أن اختلطت الفلسفة بالعقائد فأكثر المتكلمون من كتب الجدل ليطهروا العقائد مما لوثها :

فمنهم من وُفّقَ ومنهم من قارب ، وكتاب الله تعالى الذي هو عصمة للعقول لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يزال قائماً

(١) التغابن .

فوجب أن نأخذ منه العقائد ونعول عليه فى أصول الدين (فمن اتَّبعَ هُدايَ فلا يَضِلُّ ولا يَشقَى «١٢٣» ومن أعرضَ عن ذكرى فإن له معيشةً ضَنكاً ونحشُره يومَ القيامةِ أعمى «١٢٤» قال ربِّ لم حشرتَنى أعمى وقد كنتُ بصيراً «١٢٥» قال كذلك أتتكَ آياتُنا فنسيتَها وكذلكَ اليومَ تُنسَى «١٢٦») [1]

وقد رأيت أن أتكلم على أمهات العقائد وأصول الدين بأسلوب سهل لا يكلف الناظر نظم دليل على أسلوب المناطقة، ولا بحث مقدمات على نمط علماء الكلام، بل ألفته إلى النظر فيما حوله من الآيات، وما يقع بصره عليه من عبر، ألفته إلى نفسه وما حوت من دقائق، وإلى الأرض وما اشتملت عليه من عجائب النبات والأشجار، والأنهار والبحار، إلى غير ذلك من العبر، كآيات الليل والنهار، والشمس والقمر، فإن فى ذلك وأمثاله ما يكفى لتثبيت يقينه وتقوية إيمانه، أسلوب يسهل على العامة فهم دينهم، ويُنقذ الخاصة من تكلفهم فى استدلالهم، وتشددهم فى طريق الوصول إلى عقائدهم، وأرجو أن يقع من الأمة موقع

(١) طه .

القبول ، وأن يكون سبيلا لاتصال صاحبه بالرسول ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى أصحابه وتابعيه ومن سار بسيرهم واهتدى بهديهم .

وجود الاله

مما أودع فى الفطر ، وارتكز فى الطباع ، معرفة العاملين بآثارهم ، والصنّاع بصنعتهم ، ولذلك ترى نفسك وقد وقع بصرُك على قصر حسن المنظر محكم البناء ، قد استولت عليك الدهشة من مهارة بانيه ، ونبوغ صانعه ، وترى لسانك يسابق نفسك إلى امتداح واضعه والثناء عليه .

وإذا مررت ببستان قد أُحكمت تقاسيمه ، ونسقت أشجاره ونظّمت أزهاره ، لفتك ذلك الشكل البديع إلى حسن ذوق راسمه وسلامة فطرته .

وإذا مررت بأثر من الآثار العظيمة كبناء الإهرام علمت أن البانين له من قدماء المصريين كان عندهم من آلات رفع الأثقال ما تمكنوا به من بنائه

وإذا دخلت دار الآثار ورأيت من جثث الأقدمين مامضى عليه عشرات القرون وآلاف السنين عرفت أن المصريين كانوا يعلمون من فن التحنيط مالانهتدى إليه حتى الآن .

إذا كان ذلك هو الذى تقتضيه الفطرة ، وتستلزمه طبيعة الانسان ، وهو أن تنتقل النفس من الأثر إلى المؤثر فيه ومن عظم البناء إلى عظم بانيه ، فمن الطبعى أن تعرف من ذلك الكون أن له ربًّا دبّره وخالقاً براه ، من البدهى أن تعرف أن لذلك العالم إلها رفع سماءه ، وبسط أرضه ، وأرسى جباله ، وأجرى بحاره (أَفَلَمْ ينظُروا إلى السماءِ فوقَهم كيف بنيناها وزيّناها ومالها من من فروجٍ «٦» والأرضَ مَددْناها وألقينا فيها رواسيَ وأنبتنا فيها من كلِ زوجٍ بهيجٍ «٧» تبصرةً وذِكرى لكُلِّ عبدٍ منيب «٨»)[1] من المعقول أن نعرف الاله بآثاره ، ونصل إليه بدلائل قدرته ، وما أحسن قول الأعرابى وقد سأله الأصمعى بم عرفت ربك ؟ فقال [البعرة تدل على البعير ، وأثر الأقدام يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فِجاج ، ألا تدل

---

(١) ق

على اللطيف الخبير] قاله ذلك الأعرابى بسلامة فطرته ، وطهارة نفسه ، لأنه نظر فى الكون نظر عظة واعتبار ، وفكر واد كار

ولو نظرنا كما نظر الأعرابى لرأينا من آيات الله مالا يقف عند حد ، ولا ينتهى عند غاية ، لو تأملنا قول الله تعالى (ولقد خلقنا الإنسانَ من سُلالةٍ من طين «١٢» ثم جعلناهُ نُطفةً فى قرارٍ مكين «١٣» ثم خلقنا النطفةَ علقةً فخلقنا العلقةَ مضغةً فخلقنا المضغةَ عِظاماً فكسونا العظامَ لحماً ثم أنشأناهُ خلقاً آخرَ فتبارك اللهُ أحسنُ الخالقين «١٤») (١) لعرفنا أن من يستطيع أن يحوّل الطين اللازب إلى ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب ، ثم يحول النطفة إلى علقة ، والعلقة إلى مضغة ، ثم يحول المضغة إلى عظام ، فيكسوها لحما ، ثم ينشئها خلقا آخر فيشق لها عينا تبصر ، وأذنا تسمع ، جدير بأن تخضع له الرقاب ، وتذل له النفوس ، لو نظر الإنسان إلى طعامه كيف صب الله الماء صبًّا ، ثم شق له الأرض شقًّا ، فأنبت له ما يحتاجه فى حياته ، ويتطلبه فى معيشته ، أو نظر كيف يتعاقب الليل والنهار ، وكيف تُسيَّر

---

(١) المؤمنون

السفن بواسطة الهواء في البحار ، وكيف سُخِّر له الشمس والقمر ، وكيف اختلفت الألسن وافترقت الألوان على أن الكل لآدم وآدم من تراب ، لرأى من ذلك كله العجب العجاب ، وعرف أن في كل شيء آية ناطقة ، وبرهاناً ينادي بأن لذلك العالم رباً مهيمناً عليه ، وإلها متصرفا فيه ، على وفق الحكمة ، ومنتهى الاتقان (إن في خلقِ السمواتِ والأرض واختلافِ الّيلِ والنهارِ والفلكِ التي تَجرى في البحرِ بما ينفعُ الناسَ وما أنزلَ اللهُ من السماءِ من ماءٍ فأَحيا به الأرضَ بعد موتِها وبثَّ فيها من كلِّ دابةٍ وتصريفِ الرياحِ والسحابِ المسخرِ بينَ السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلون «١٦٤»)[1]

وأعجب من هذا وأغرب ، قول الله تعالى (وفي الارضِ قِطَعٌ مُتجاوراتٌ وجناتٌ من أَعنابٍ وزرعٌ ونخيلٌ صِنوانٌ وغيرُ صِنوانٍ يُسقَى بماءٍ واحدٍ ونُفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكلِ إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون «٤»)[2] فانظر كيف فضَّل الله بعض الثمار على بعض ، فجعل فيها الحلو والحامض ، والحار والبارد

(١) البقره . (٢) الرعد .

على اتحاد مائها الذى يغذيها ، والشجرة التى تحملها ، بل قد يتحد الغصن وتتفاوت الثمرة ، وقد تختلف الثمرة الواحدة فيكون لكل جانب منها طعم خاص ، أليس ذلك من أكبر الأدلة على أن لها ربًّا حكيما أعطى كل شىء خلقه ، ووهبه من الخصائص ما يتناسب مع استعداده ، ويتمشى مع سنته

تنزهه تعالى عن مشابهة غيره

إذا كان ذلك العالم البديع الصنع لابد له من إله يدبره ، وخالق يهيمن عليه ، فليس من المعقول أن يشبه ذلك الإله شيئاً من خلقه ، لايشبهه فى ذاته ، ولا يماثله فى صفته ، ضرورة أن الله تعالى خالق والعالم مخلوق ، والله غنى عن خلقه ، والعالم فقير إليه ، وكيف يماثل مخلوق خالقه ، أم كيف يشبه عبد ربه ، وكيف يدانى فقير من جميع جهاته غنيًّا مطلقاً ، يمنح غيره الوجود ، ويهبه الحياة (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ «١٧») [١] وإذا كان العبد والرب لا يتماثلان ، والمخلوق والخالق لا يتشابهان ، وكان

---

(١) النحل

للمخلوق مبدأ ونهاية ، وجب أن يكون الإله هو (الأول والآخر) الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا غاية ، وإذا كان للمخلوق أن يؤتى القليل من العلم — فإن لله الاطلاع الكامل ، والعلم المحيط (أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ يعلمُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ ما يكونُ من نَجْوى ثلاثةٍ إلا هو رابعُهم ولا خمسةٍ إلا هو سادسُهم ولا أَدْنَى من ذلكَ ولا أكثرَ إلا هو معهم أينما كانوا ثم يُنَبِّئُهم بما عملوا يومَ القيامةِ إنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ «٧»)[1] وإذا كان للمخلوق استطاعة محدودة ، ومشيئة لا تعدو مشيئة الرب ، فإن لله القدرة التامة ، والمشيئة النافذة (إنَّ بطشَ ربكَ لشديدٌ «١٢» إنه هو يُبْدِئُ ويُعيدُ «١٣» وهو الغفورُ الوَدودُ «١٤» ذو العرشِ المَجيدُ «١٥» فعَّالٌ لما يُريدُ «١٦»)[2] وإذا كان من شأن العبد أن يُسأل عما يفعل لأنه يخطئ ويصيب ، فليس ذلك من شأن الخالق ، لأنه الحكيم الذى لا يعبث ، والعدل الذى لا يجور (لا يُسأَلُ عما يَفعلُ وهم يُسأَلون «٢٣»)[3] وإذا كان من شأن العبد إذا داوم على العمل أن يلحقه العيُّ ، ويعرض له الملل ، لأنه

(١) المجادلة (٢) البروج (٣) الانبياء

محدود القدرة ضعيف الاستعداد ، فليس ذلك من شأن الرب ذى القوة المتين (ولقد خلقنا السموٰاتِ والأرضَ وما بينهما فى ستةِ أيامٍ وما مسنا من لُغوب «٣٨») [١] فالمخلوق لا يشبه الخالق فى صفته ، كما لا يماثله فى ذاته ، ولا يدانيه فى كمالاته ، كما أنه لا يقاربه فى حقيقته ، فله المثل الأعلى فى السموات والأرض (لَيْسَ كَمثلِهِ شىءٌ وهو السميعُ البصيرُ «١١») [٢]

وحدة الإلٰه

لا نزاع فى أن كل عمل من الأعمال لا غنى له عن مرجع يُشرف عليه ، ورياسة ينتهى أمره إليها ، يكون لها السلطان التام على ذلك العمل

وقد دلت التجاريب على أن العمل لا يصلح برياستين ، ولا ينتظم بسلطتين ، فالبيوت والمنازل يختل نظامها وتسود فيها الهمجية ، إذا لم يكن لها رئيس حازم ، يدير شئونها ، ويختص برعايتها ، والمدرسة تنتشر فيها الفوضى إذا لم تتوحد سلطتها فى ناظر يتولى أمرها ، ويدبر عملها ، والمتجَر يبقى مادام على رأسه

(١) الذاريات . (٢) الشورى .

مدبر ، له فيه النفوذ المطلق ، والتصرف التام ، ذلك الذى نحسّه من أنفسنا ، ونشعر به فى أنظمتنا ، هو الآية الناطقة بأن لذلك الكون إلهاً واحداً (وفى الأرض آياتٌ للموقِنينَ «٢٠» وفى أنفُسِكُم أفلا تُبصِرون «٢١»)[1] ولو كان معه شريك فى الملك ، أو له معين فى العمل ، لاختل نظام السموات وما فيها من كواكب ، والأرض وما تحويه من أنهار وبحار ، ونبات وأشجار (لو كانَ فيهما آلِهةٌ إلا اللهُ لفسدتا فسُبحانَ اللهِ ربِّ العرشِ عما يَصِفون «٢٢»)[2]

فوجود إلهين مدعاة للنزاع الدائم ، والغلبة المستمرة ، فان من شأن الاله أن يكون صاحب السلطان المطلق ، والسيطرة التامة ، وليس له أن يخضع لغيره ، أو يتفق هو ومن ينازعه (ما اتخذ اللهُ من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذًا لذهب كلُّ إلهٍ بما خلق ولَعَلا بعضهم على بعض سبحانَ اللهِ عما يَصفونَ «٩١» عالمِ الغيبِ والشهادةِ فتعالى عما يُشركون «٩٢»)[3]

وكيف ينتظم حال عبد له آلهة متباينة ، يختلف كل عن الآخر

(١) الذاريات (٢) الانبياء (٣) المؤمنون

فى أوامره ونواهيه ، يحب أحدهما من الطاعات مالا يحبه الآخر ، ويُبغض من المعاصى والمنكرات مالا يبغض ؟ أم كيف يستقيم أمر عبد وقد تعددت ملاكه ، وتنازعت فيه الشركاء ، وكل يريد أن يضمه إليه ، ليكون عبده المطيع ، وخادمه المخلص ؟ وهل يستوى ذلك العبد هو وعبد ليس له إلا سيد واحد ، يعرف ما يحبه منه فيسارع إليه ، وما يسيئه فيجتنبه ؟ (ضرب اللهُ مثلاً رجلاً فيه شُركاءُ متشاكسون ورجلاً سَلَمًا لرجلٍ هل يستويان مثلاً «٢٩») [1] ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون ما سكتوا عن مناوأته ، ولاتخذوا طريقاً إليه ليغالبوه الأمر ، وينازعوه الملك ، وما رضوا له أن يستوى دونهم على عرشه ، ويتصرف فى خلقه (قُل لو كان معه آلهةٌ كما يقولونَ إذًا لابتغَوْا إلى ذى العرش سبيلاً «٤٢» سبحانَه وتعالى عما يقولون عُلوًّا كبيرا «٤٣») [2]

وقد قررهم الله تعالى بالحجة تلو الحجة ، والدليل عقب الدليل ، حتى لا يجدوا إلى إنكار وحدة الله تعالى سبيلا إذا كانوا منصفين ، ويعترفوا بانفراده بالخلق والأمر إذا كانوا للحق طالبين (أَمَّن

---

(١) الزمر . (٢) الاسرا .

خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون «٦٠» أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون «٦١» أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون «٦٢» أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون «٦٣» أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين «٦٤»)(١) (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون «٧١» قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون «٧٢» ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون «٧٣»)(٢)

---

(١) النمل . (٢) القصص .

قدرة الله ومشيئته

من دلائل قدرة الله تعالى ومشيئته أن سُخِّرت له الكائنات، وسجد لعظمته من فى الأرض والسموات، سجدوا لعظمته وفيهم الطائع والكاره، والمختار والمضطر (ولله يسجدُ من فى السموات والأرض طوعًا وكرها وظِلالُهم بالغدُوِّ والآصال «١٥»)[١] لأن الكل عبد لله تعالى خاضع، لا يعدُو حده، ولا يتجاوز قدره (إن كلُّ من فى السمواتِ والأرضِ إلا آتى الرحمن عبدًا «٩٣» لقد أَحصاهم وعدَّهم عدًّا «٩٤» وكلُّهم آتيه يومَ القيامةِ فردا «٩٥»)[٢] (ثم استوى إلى السماء وهى دخانٌ فقال لها وللأرض إئتِيا طَوعًا أو كَرهًا قالتا أتينا طائعين «١١»)[٣] سخر الله للإنسان الفلكَ فى البحار، وشق له من الأرض الأنهار، كما سخر له الشمس والقمر وجعل النهار يعقبه الليل، والليل يتلوه النهار (اللهُ الذى خلق السمواتِ والأرضَ وأنزل من السماء ماءً فأخرجَ به من الثمرات رزقًا لكم وسخر لكُمُ الفلكَ لتجريَ فى البحر بأمره وسخرَ لكم الأنهار «٣٢» وسخر لكم الشمسَ والقمرَ دائبَيْنِ وسخر

(١) الرعد . (٢) مريم . (٣) الدخان

لكم الليلَ والنهارَ «٣٣» وآتاكم من كلّ ما سألتموه وإن تعدّوا نعمةَ اللهِ لاتحصوها إن الانسانَ لظلومٌ كفارٌ «٣٤»)[1]

من آيات قدرته أن نرى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله ، ومن دلائل حكمته أن خلقنا من ماء مهين ، فجعله نطفة فى قرار مكين ، وإنه يحفظ الحبة فى جوف الأرض من الهوام والحشرات ، ثم ينبتها النبات الحسن ، حتى تصير زرعاً يأكل منه الأنعام والآدميون ، ولو شاء لجعله هشيما يابساً ، يُنزل من السماء ماء بقدر فيسكنه الأرض، ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً ، تمجه النفوس ، وتنفر منه الطباع

يجعل لنا من الشجر الأخضر ناراً هى ضرورية للحياة ، ولازمة للمعيشة (أفرأيتم ماتمنون «٥٨» أأنتم تخلقونه أم نحنُ الخالقون «٥٩» نحن قدّرنا بينكم الموتَ وما نحنُ بمسبوقين «٦٠» على أن نُبدّلَ أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون «٦١» ولقد علمتم النشأةَ الأولى فلولا تذكّرون «٦٢» أفرأيتم ما تحرثون «٦٣» أأنتم تزرعونه أم نحنُ الزارعون «٦٤» لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم

(١) ابراهيم .

تَفَكَّهون «٦٥» إنا لَمُغرَمون «٦٦» بل نحنُ محرومون «٦٧» أفرأيتم الماءَ الذى تشرَبون «٦٨» أأنتم أنزلتُموه من المُزنِ أم نحن المنزِلون «٦٩» لو نشاء جعلناهُ أُجَاجاً فلولا تشكرون «٧٠» أفرأيتم النارَ التى تُورُون «٧١» أأنتم أنشأتم شجرتَها أم نحنُ المنشِئُون «٧٢» نحن جعلناها تذكِرَةً ومتاعاً للمُقْوِين «٧٣» فسبح باسم ربِّكَ العظيم «٧٤»)[1]

يرينا أنه خلق السموات بغير عمَدٍ تحملها ، وألقى فى الأرض رواسى مخافة أن تضطرب بمن عليها ، وجعل فيها من كل دابة وأنزل من السماء ماء فأنبت من كل زوج ، ويتحدى المشركين بأن ذلك خلقه وتلك آثاره فماذا خلق غيره (خلق السموات بغير عَمَدٍ تَرَونَها وألقى فى الأرض رواسِيَ أن تَميدَ بكم وبثَّ فيها من كلِّ دابةٍ وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كلِّ زوجٍ كريمٍ «١٠» هذا خلقُ اللهِ فأَرُونى ماذا خلق الذين من دونِه)[2]

يرينا أنه خلق كل دابة من ماء ، وجعلها أشكالا مختلفة ، وصوراً متباينة كما قضت به حكمته ، وسبق به علمه (فنهم من

(١) الواقعة . (٢) لقمان .

يَمشى على بطنِه ومنهم من يَمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربعٍ يخلقُ اللهُ ما يشاء إن اللهَ على كلّ شيء قدير «٤٥») [١]
يلفتنا إلى تحويلنا من حال إلى حال ، وتنقلنا من طور إلى طور ، يخلقنا أطفالا ضعفاء ، ثم يجعلنا شبابا أقوياء ، ثم شيوخا شيبا (اللهُ الذى خلقكم من ضَعفٍ ثم جعل من بعد ضَعفٍ قوةً ثم جعل من بعدِ قوةٍ ضعفاً وشيبةً يخلقُ ما يشاء وهو العليمُ القديرُ «٥٤») [٢]

كل هذه الآيات والعبر ، من سماء رفعها ، وأرض بسطها ، وجبال أرساها ، وأنهار شقها ، وبحار أجراها ، وفُلك سيَّرها ، وكواكب أنارها ، ونطف صوّرها ، ومياه أنزلها ، وزرع أنبته ، وشجر أنشأه ، دلائل واضحة ، وآيات ناطقة ، بأن لها ربا قادرا حكيما ، له الخلق والأمر يعمل حسب مشيئته ، ويمضى وفق علمه ، يعطي الملك ويمنعه ، يعز ويذل ، بيده الخير وإليه المصير ، (قل اللهم مالكَ الملك تُؤتى الملكَ من تشاء وتَنزعُ الملكَ مِمَّن تشاء وتُعزُّ من تشاء وتُذِلُّ من تشاء بيدكَ الخيرُ إنك على كل شيء

(١) النور . (٢) الروم .

قديرٌ «٢٦» تُولِجُ اللَّيلَ فى النهارِ وتُولِجُ النهارَ فى الليل وتُخرجَ الحيَّ من الميتِ وتُخرجُ الميتَ من الحيِّ وترزقُ من تشاء بغير حسابٍ «٢٧») (١)

حياة الله تعالى وعلمه

متى قامت الأدلة على أن لذلك العالم إلٰها دبره ، له ملك السموات والأرض ، يقوم على كل نفس بما كسبت ، وجب أن يكون حيا حتى يمنح غيره الوجود ، ويهبه الحياة ، ولو كان ميتا ما استطاع ذلك ، لأن الفاقد للشيء لا يعطيه ، والمحروم من المزية لا يفيدها (هو الحيُّ لا إلهَ إلا هو فادعوهُ مخلصين له الدينَ «٦٥») (٢)

وكيف يوصف بالقدرة التامة والمشيئة النافذة والعلم المحيط والرحمة الواسعة من فقد صفة الحياة ؟ أم كيف يقوم بتدبير هذا العالم الكبير من عرشه لفرشه من تعرض له الغفلة ، أو يجوز عليه ما يطرأ على المخلوق من نوم أو نعاس ؟ (الله لا إلهَ إلا هوَ الحيُّ القيُّومُ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ له ما فى السمواتِ وما فى الأرضِ «٢٥٥») (٣)

---

(١) آل عمران . (٢) غافر . (٣) البقرة .

وإذا كان الله تعالى هو الذى خلق ذلك العالم، وأبدع ذلك الكون، خلقه كما أراد، وأبدعه كما شاء، فلابد أن يكون عالما بما أبدع، محيطا بما خلق، ومن المحال أن يخلق خلقا وهو لا يعلمه، ويبدع كونا وهو لا يعرف تفاصيله (ألا يعلم من خلق؟ «١٤»)[1] من المحال أن يخلق السموات وما أظلت، والأرض وما أقلت، وهو لا يعلم مافيهما من نبات وأشجار، وجبال وبحار، وكواكب تضىء، ودواب قد اختلفت أشكالها، وأناسي تباينت لغاتها (هو الذى خلق السمواتِ والأرضَ فى ستةِ أيام ثم استوى على العرشِ يعلمُ ما يَلِجُ فى الأرضِ وما يخرجُ منها وما ينزلُ من السماءِ وما يعرُجُ فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير «٤»)[2] من المحال أن يربى النطف فى الأرحام، وينقلها من طور إلى طور فمن نطفة الى علقة، ومن علقة الى مضغة ومن مضغة الى عظام، ثم يكسوها لحما وينشئها خلقاً آخر، وهو لا يعلم أطوارها ولا يدرى ما يحيط بها، من صحة وفساد، وزيادة ونقص (الله يعلمُ ما تحملُ كلُّ أنثى وما تغيضُ الأرحامُ وما تزدادُ وكلُّ شىءٍ عنده بمقدار «٨»

(١) الملك. (٢) الحديد.

عالمُ الغيبِ والشهادةِ الكبيرُ المتعالِ «٩» سواءٌ منكم من أسرَّ القولَ ومن جهرَ به ومن هو مستخفٍ بالليل وساربٌ بالنهار «١٠»)[(١)]

فهو تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، يعلم ماتوسوس به النفس من خطرات، وما يلم بها من أحاديث (ولقد خلقنا الأنسان ونعلم ماتوسوسُ به نفسُه ونحن أقربُ إليه من حبل الوريد «١٦» إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيدٌ «١٧» ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ «١٨»)[(٢)] مفاتيح الغيب بيده، وعلم المستقبل موكول إليه، لا يحيط به غيره ولا يدريه سواه (وعنده مفاتيحُ الغيبِ لا يعلمها إلا هو ويعلمُ مافى البرِّ والبحر وما تسقُط من ورقة إلا يعلمُها ولا حبةٍ فى ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا فى كتابٍ مبينٍ «٥٩»)[(٣)]
(إن اللهَ عنده علمُ الساعةِ وَيُنَزِّلُ الغيثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وما تَدْرِى نَفْسٌ بأَىِّ أرضٍ تموتُ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ «٣٤»)[(١)]

---

(١) الرعد . (٢) ق . (٣) الانعام . (٤) لقمان .

سمع الله تعالى وبصره

لا نزاع فى أنه لا يستوى بصير وأعمى ، ولا سميع وأصم كما لا تستوى الظلمات والنور ولا الظل ولا الحرور (مثلُ الفريقَيْن كالأعمى والأصمّ والبصيرِ والسميعِ هل يستويان مثلاً أفلا تَذكرون «٢٤»)[1] فالفرق بين البصير والأعمى والسميع والأصم بدهى لا يحتاج إلى دليل ، ولا يتوقف على نظر ، وإن من يعبد إلهاً لا يسمع من دعاه ، ولا يرى عابده ، قد سفِه نفسه ، وفقد رشده ، ولذا يقول خليل الله ابراهيم (يا أبتِ لِم تعبدُ ما لا يسمعُ ولا يُبصرُ ولا يُغنى عنك شيئاً «٤٢»)[2] فهو يبكته على عبادة إله قد تجرد عن هذه الخصائص ، وخلا عن هاتيك المزايا ، وما ذاك إلا لأن المودع فى الفطر أن هذه كمالات لا يصح أن يخلو الإله المعبود منها ، ولا يليق أن يتصف بما يقابلها ، وقد كان من أشد الحجج تأثيراً على عُباد الأصنام قول ابراهيم عليه السلام (هل يَسمعونكم إذ تَدْعون « ٧٢ » أو يَنفعونكم أو يضُرون «٧٣»)[3]

(١) هود . (٢) مريم . (٣) الشعراء

فالإله الذى يستحق أن تخضع له الرقاب ، وتألهه النفوس ، وتفرده بأرقى مراتب المحبة والإكبار ، هو السميع لشكاية عبيده، البصير بأعمال خلقه ، يسمع سرهم ونجواهم ، ويرى صغيرهم وكبيرهم (قد سمع اللهُ قولَ التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى اللهِ والله يسمع تحاوُرَكما إن اللهَ سميعٌ بصيرٌ «١»)(١)

يستغيثه نبى الله موسى وأخوه هرون من فرعون وبطشه فيطمئنهما بأنه معينهم وناصرهم ، يسمعهم إذا استعانوا به ، ويراهم إذا فَرط عدو الله عليهم ، فلا يهمهم بطشه ، ولا يضيرهم وعيده ، ولا غنى لهم عن تبليغ الرسالة ، وتأدية الأمانة (فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكَّرُ أو يخشى «٤٤» قالا ربنّا إننا نخافُ أن يفرُطَ علينا أو أن يطغى «٤٥» قال لا تخافا إننى معكما أسمعُ وأرى «٤٦» فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآيةٍ من ربك والسلامُ على من اتّبع الهدى «٤٧» (٢)

وجدير بعبد يعرف أن له إلهاً يراه فى خلوته وجلوته ، وسره وعلانيته ، أن يخلص له العبادة ، ويحاسب نفسه قبل أن

---

(١) المجادلة (٢) طه

يحاسبه (وقل اعملوا فسيرى اللهُ عملكم ورسولُه والمؤمنون وستُردون إلى عالمِ الغيبِ والشهادةِ فينبئكم بما كنتم تعملون «١٠٥»)[1]

كلام الله تعالى

كما أن الفطر لاتسوِّى بين أعمى وبصير ، ولا بين أصم وسميع . هى لاتسوِّى بين أبكم لايستطيع النطق ، ومتكلم يأمر بما يحب وينهى عما يبغض (وضربَ اللهُ مثلا رجلين أحدهما أبكمُ لا يقدر على شيءٍ وهو كَلٌّ على مولاه أينما يُوَجِّههُ لا يأتِ بخيرٍ هل يستوى هو ومن يأمرُ بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم «٧٦»)[2] (واتخذ قوم موسى من بعده من حُليهم عجلا جسداً له خُوار ألم يرَوْا أنه لايكلمُهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين «١٤٨»)[3] (أفلا يرَوْن ألا يرجعُ إليهم قولا «٨٩»)[4]

وقد كاد نبي الله إبراهيم عليه السلام لأصنام قومه الذين فُتنوا بعبادتهم ، فجعلهم فتاتًا عدا الصنم الأكبر فيهم ، ليرجعوا إليه إن

(١) التوبة (٢) النحل (٣) الاعراف (٤) طه

كانوا مفكرين ، ويناقشوه الحساب إن كانوا لعقولهم مستعملين ، حتى إذا سألوا ذلك الصنم فلم ينطق ، وناقشوه فلم يتكلم ، رجعوا إلى رشدهم ، وعرفوا أنهم ظالمون لأنفسهم ، بعبادتهم أصناما صنعوها بأيديهم ، (وتاللهِ لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تُوَلُّوا مدبرين «٥٧» فجعلهم جُذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون «٥٨» قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين «٥٩» قالوا سمعنا فتًى يذكرُهم يُقال له إبراهيم «٦٠» قالوا فأتوا به على أعينِ الناس لعلَّهم يشهَدون «٦١» قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا ياإبراهيم «٦٢» قال بل فعله كبيرُهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون «٦٣» فرجعوا الى أنفسِهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون «٦٤») [١]

ومن عبَد إلهاً عاجزاً لا ينطق إذا حلّ به مكروه ، ولا يتكلم إذا ناله سوء ، فهو رجل أحمق ، قد سفِه نفسه ، ونقض مقام الالٰهية حقه ، وكيف يستحق العبادة إله ليس له من صفة الكلام ما تُعلم به أوامره ونواهيه ، أم كيف يكون له رسل يبشرون وينذرون ، ينشرون دعوته ، ويبلغون دينه ، فدل ذلك كله على

---

(١) الانبياء

أن من كمال الاله أن يكون له صفة ذاتية يُعلم بها من يشاء من عباده متى شاء ، وهـذا الإعلام هو التكليم والوحى وليس لنا أن نبحث عن كيفية كلامه القديم ، ولا عن كيفية تكليمه لرسله وإيحائه إليهم ، فان ذلك شأن من شؤونه لا يحدده غيره ، ولا يعرفه سواه ، فنؤمن بذلك ، ونؤمن بأن القرآن كلام الله تعالى الذى أنزله على خيرة خلقه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو معجزته الدائمة وحجة الله القائمة ، ليس قولا للبشر ، وإنما هو كلام واهب القُوى والقُدر ، سمعه المشرك والموحد ، والمؤمن والملحد ، من اهتدى به رشَد ، ومن أعرض عنه ضل وهلك (فمن اتبعَ هداى فلا يضِل ولا يَشقى «١٢٣» ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضنكاً ونحشرُه يومَ القيامةِ أعمى «١٢٤» قال ربِّ لم حشرتَنى أعمى وقد كنتُ بصيراً «١٢٥» قال كذلكَ أتتك آياتُنا فنسيتَها وكذلكَ اليوم تُنسَى «١٢٦»)[1]

---

(١) طه

أفعال الله تعالى وحكمته

إن لله تعالى فى خلقه شؤونا لا يعلم حدها غيره ، ولا يحيط بها سواه ، بيده وحده الإحياء والإماتة ، والاعطاء والمنع ، والإعزاز والإذلال (قلِ اللهمَّ مالكَ الملكِ تؤتى الملكَ من تشاءُ وتنزعُ الملكَ ممن تشاءُ وتعزُّ من تشاءُ وتُذِلُّ من تشاءُ بيدِكَ الخيرُ إنكَ على كل شىءٍ قديرٌ «٢٦» تُولجُ الليلَ فى النهارِ وتُولجُ النهارَ فى الليلِ وتخرجُ الحىَّ من الميتِ وتُخرجُ الميتَ من الحىِّ وترزقُ من تشاءُ بغيرِ حسابٍ «٢٧»)[1]

لا مانع لما أعطاه ، ولا معطى لما منعه ، من هداه فلا أحدَ يضله ، ومن أضله فلا هادى له سواه ، وهو فى كل شؤونه لا يعدو حدّ الحكمة ، ولا يتخطى قانون العدل ، كتب ذلك على نفسه ، يهدى من أقبل عليه واستمع لداعيه ، ويضل من أعرض عن دعوته وأصم أذنه عن سماع الحق ، (سأصرفُ عن آياتيَ الذين يتكبرون فى الأرضِ بغيرِ الحقِّ وإن يَرَوْا كلَّ آيةٍ لا يؤمنوا بها وإن يَرَوْا سبيلَ الرُّشدِ لا يتخذوه سبيلاً وإن يَرَوا سبيلَ الغىِّ

(١) آل عمران

يَتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذَّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين «١٤٦»)[1]

يضع كلا حيث وضعه عمله، ويجزيه عليه الجزاء الأوفى،

لا يسوى سبحانه بين خبيث وطيب، ولا بين مصلح ومفسد

(أم حسِبَ الذينَ اجْتَرحُوا السيئاتِ أن نجعلَهم كالذين آمنوا

وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتُهم ساء ما يحكُمون «٢١»)[2]

يُمد من يعمل للدنيا ويعين من يعمل للآخرة، كلا حسب

استعداده ومقدار نشاطه، فمن كانت الدنيا همه، وعمل لها،

عجل الله له فيها من الرزق ماشاء أن يعجل له، وجعل النار عاقبته،

ومن عمل للآخرة وهو مؤمن بربه واثق بلقائه، شكر الله له سعيه

وأثابه مع من أثاب (من كان يريدُ العاجلةَ عجّلنا له فيها ما نشاء

لمن نريدُ ثم جعلنا له جهنمَ يَصلاها مذموماً مدحوراً «١٨» ومن

أراد الآخرةَ وسعى لها سعيَها وهو مؤمنٌ فأولئك كان سعيُهم

مشكورا «١٩» كلا نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربِّك وما كان

عطاء ربِّك محظورا «٢٠»)[3]

فهو سبحانه يعطى الدنيا من يعمل لها أحبه الله أم كرهه،

(١) الاعراف (٢) الجاثية (٣) الاسراء .

ولا يعطى الدين إلا من أحبه ، فليس المال أمارة الرضا ، بل هو ابتلاء من الله تعالى كسائر النعم لينظر أيقوم العبد بحقه أم يحارب به مولاه (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم «١٥»)[1]

حاجة الناس الى الرسل

كان الناس ولا يزالون « أمة واحدة » مشتبكة المصالح ، مرتبطة الحاجات ، لا يستطيع واحد من الأمة أن يعيش وحيداً كما يعيش بعض الحيوانات والوحوش ، وتراهم بفطرهم مدفوعين إلى الحصول على طرق معاشهم ، وسبل حياتهم ، يدفعون عن أنفسهم ما يعتقدون ضرره ، ويجلبون لها ما يرون نفعه ، وكثيراً ما يخطئون فى تحديد النافع والضار ، فقد يكون الشىء نافعاً عند قوم ، ضاراً فى نظر آخرين ، فإذا تركوا وشأنهم فى تحديد مصالحهم فلا غنى لهم عن الخلاف ، وهو شر مستطير على الانسان الذى خلقه الله لعمارة الأرض ، فكان من حكمة الله تعالى أن يرسل رسلا هم المرجع عند الاختلاف ، والموئل عند التنازع (كان الناس

(١) التغابن .

أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مُبشِّرين ومنذِرين وأنزل معهم الكتابَ بالحق ليحكمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه «١١٣»[١]

من لطف الله بخلقه أن بعث فيهم رسلا مبشرين ومنذرين يعرفونهم الفضائل ويدعونهم إليها ، ويبينون لهم الرذائل وينفرونهم منها ، يعلمونهم ما يصلح دنياهم التى فيها معاشهم ، ودينهم الذى هو عصمة أمرهم ، جعلهم الله رحمة للعالمين ، ليهدى بهم من الضلالة ، يُنقذ بهم من الجهالة ، يفتح بهم أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُمًّا ، وقلوباً غُلفاً ، يألف بهم القلوب بعد شتاتها ، ويوضح بهم المحجة بعد خفائها ، فهم من الأمم بمنزلة الروح من الجسم ، والنور من الظلمة .

يحيى الله تعالى بروح رسالتهم من أماتته ظلمة الجهل ، وينير بهداية بعثتهم من أعمته الشهوات ، واستهوته الشياطين (أوَ من كان ميْتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مَثَلُهُ فى الظلمات ليس بخارج منها « ١٢٢ »)[٢] أرسلهم الله تعالى أئمة للمتقين ، ومناراً للسائرين لتكون لله على العصاة الحجة البالغة ،

---

(١) البقرة (٢) الانعام

فتنقطع أعذارهم إذا حقت عليهم كلمة العذاب ، وتُخرس ألسنتهم إذا قدموا فى آخرتهم للعقاب ، (رسلاً مبشِّرين ومنذِرين لئلا يكونَ للناس على الله حجةٌ بعد الرسل وكان اللهُ عزيزاً حكيما «١٦٥» [١]) يعلمون الناس أن لهم ربًّا يُرجى ثوابه ، ويُخشى عقابه ، لم يخلق الناس عبثاً ، ولم يتركهم سدى

(أفحسِبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا تُرجَعون « ١١٥ » فتعالى اللهُ الملكُ الحقُّ لا إلهَ إلا هو ربُّ العرش الكريم «١١٦») [٢]

يعرفونهم أن لهم حياة وراء هذه الحياة يحصد الناس فيها ما يزرعون ويجدون عندها ما يقدمون ، يحاسبون فيها على الصغير والكبير والعظيم والحقير ، (ونضعُ الموازينَ القِسطَ ليومِ القيامةِ فلا تُظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقالَ حبةٍ من خَردَلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين « ٤٧ » [٣])

لا يُحلون لهم إلا ما تطيب به نفوسهم ، وتتهذب به أخلاقهم ، وتصح به أجسامهم ، ولا يحرمون عليهم إلا ما يلوث فطرتهم ، ويفسد عقولهم ، ويعرض أجسامهم ، يأمرونهم بما تعرفه الطباع

(١) النساء (٢) المؤمنون (٣) الانبياء

من الفضائل ، وينهونهم عما تنكره النفوس من الفواحش (الذين يتّبعون الرسولَ النبيَّ الأُميَّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف ويَنهاهم عن المنكر ويُحلُّ لهم الطيباتِ ويُحرِّم عليهم الخبائثَ ويضعُ عنهم إصرهم والأغلالَ التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النورَ الذي أُنزل معه أولئك هم المفلحون « ١٥٧ »(١)

الأنبياء والرسل وصفاتهم

اختار الله تعالى من بني الإنسان طائفة اختصها بعلو في الفطرة ورجاحة في العقل ، وعصمها عن كل مايشوه السيرة البشرية من الفواحش الظاهرة والباطنة ، لتكون للناس أسوة حسنة ، وقدوة صالحة ، فمن اختاره الله تعالى لذلك المنصب ، ولم ينزل عليه شريعة يبلغها للناس فهو نبي وليس برسول ، ومن كلفه مع ذلك بشرع يبلغه للناس ويحملهم بالحجة والبرهان على العمل به فهو نبي ورسول

ولا بد للرسول مع ما تقدم من الخصائص من الأمانة في تبليغ كل ما عُهد اليه أن يبلغه ، وسلامة بدنه مما تنفر منه الأذواق

(١) الاعراف

السليمة ، وتنبو عنه الأبصار ، لأنا بتلاءه بشيء من ذلك يصرف الناس عنه فلا يتم الغرض من بعثته ، وهو جمع الناس عليه ، والتفافهم حوله ، ولو انحطت فطرهم ، أو ضعفت عقولهم ، لم يكونوا أهلا لذلك المنصب الجليل الذى اختصهم الله تعالى به ، ولو كذبوا أو خافوا لضعفت ثقة الناس بهم ، ولكانوا مضللين لا مرشدين ، فتذهب الحكمة من بعثتهم ، وهم فيما عدا ذلك كبقية البشر ، يأكلون ويشربون ، ويتناكحون ويمرضون ، وتمتد إليهم الظلمة وقد يقتلون ، ونقف عن تحديد عددهم ، ونؤمن بما قصه القرآن علينا من أخبارهم ، وهم مع اشتراكهم فى هذه الصفات قد فضل الله تعالى بعضهم على بعض ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات (تلكَ الرسلُ فضَّلنا بعضَهم على بعضٍ منهم من كلم اللهُ ورفع بعضَهم درجات « ٢٥٣ »[1])

وعلينا أن نؤمن بهم جميعا ، وبما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب ؛ لا نفرق فى الايمان بين أحد منهم (آمن الرسولُ بما

(١) البقره

أُنزل إليه من ربّه والمؤمنون كلٌّ آمن باللهِ وملائكته وكتُبه ورُسله لا نُفرّق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانَك ربّنا وإليك المصير « ٢٨٥ » [1]) وإن من يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض لا يعتد الله تعالى بإيمانه، ولا يبالى بتصديقه ، فان الرسل سواء فى رسالتهم، ووجوب الايمان بهم ، ولا فرق فى ذلك بين رسول ورسول ، فالمنكر لرسالة بعضهم منكر لرسالة الجميع ، ولا فرق عند الله بين من جحد أصلا من أصول الدين ومن أنكر الدين كله (إن الذين يكفرون باللهِ ورُسلِهِ ويريدون أن يُفرّقوا بين اللهِ ورسله ويقولون نُؤمن ببعض ونكفر ببعض ويُريدون أن يتخذوا بينَ ذلك سبيلا « ١٥٠ » أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مُهينا «١٥١» والذين آمنوا باللهِ ورُسله ولم يُفرّقوا بين أحدٍ منهم أولئك سوف يُؤتيهم أجورَهم وكان اللهُ غفوراً رحيما « ١٥٢ » [2]

(١) البقرة (٢) النساء

عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم

(قل يا أيها الناسُ إني رسولُ الله إليكم جميعا الذي له مُلك السموات والأرض لا إله إلا هو يُحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبيِّ الأميِّ الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوهُ لعلكم تهتدون «١٥٨»)[1]

بُعث صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة عربيهم وأعجمهم، يهوديهم ونصرانيهم، فشريعته دائمة، وهدايته مستمرة، بعث بكتاب مهيمن على سائر الكتب السماوية (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد «٤٢»)[2] آية من آيات الله الناطقة، وحجة من حججه الناهضة، لا يثقل على السمع وإن تكررت مبانيه، ولا تتناقض عند ذوي العقول معانيه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً «٨٢»)[3]

أبلغنا قصص الأولين على بعد أزمنتهم، وأخبار الماضين على انقطاع الصلة بيننا وبينهم (لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ما كان حديثا يُفترى ولكن تصديقَ الذي بين يديه

---

(١) الاعراف (٢) فصلت (٣) النساء

وتفصيلَ كلِّ شيءٍ وهُدًى ورحمةً لقومٍ يُؤمنون «١١١»)[١] أخبرنا بكثير من المغيبات فكان الخبر صادقا، والحديث حقا (الم غُلبت الرومُ في أدنى الأرضِ وهم من بعد غَلَبِهم سيَغلِبون في بضعِ سنينَ لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصرِ اللهِ ينصرُ من يشاء وهو العزيزُ الرحيمُ «٥»)[٢] (لقد صدق اللهُ رسولَه الرؤيا بالحقِّ لتدخُلُن المسجدَ الحرام إن شاء اللهُ آمنين محلِّقين رءوسَكم ومقصِّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً «٢٧»)[٣]

كلما اتسع نطاق العلم تكاثرت الأدلة على حقيته، وتجددت الآيات على أنه من عند الله (سنُريهم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسِهم حتى يتبينَ لهم أنهُ الحقُّ «٥٣»)[٤]

جاء لتطهير العقائد مما لوثها، وإبعاد الأخلاق عما دنسها، وضع للمعاملات أصولا عادلة، وقوانين شاملة، لا تسعد الأمم بدون مراعاتها، ولا يسود السلام إلا بالمحافظة عليها، أصلح حال الأسرة، وحدد واجب الخادم والمخدوم والرجل والمرأة، ووضع

(١) يوسف (٢) الروم (٣) الفتح (٤) فصلت

المواريث نُظما هي غاية في الحكمة، حذر من المنكرات على اختلاف أنواعها، ورغب في الطيبات على تنوع مشاربها، فكان جديرا به أن يكون ختاما للكتب (هو الذى أرسل رسولَه بالهُدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيدا «٢٨» محمد رسولُ اللهِ)(١)

المعجزة

المعجزة حادث غريب جاء على يد رجل يدعى أنه رسول من عند الله تعالى من شأن ذلك الحادث أن يكون فوق طاقة المخلوق، كإلانة الحديد لنبى الله داود، وإسالة النحاس لنبى الله سليمان، وانقلاب العصا ثعبانًا لنبى الله موسى، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله لنبى الله عيسى صلوات الله وسلامه عليهم، إلى غير ذلك من الحوادث الغريبة التى لا يستطيعها مخلوق، ولا يقدر عليها بشر، فاذا ظهرت على يد رجل فى وقت يدعى فيه الرسالة عن ربه، والوساطة بينه وبين خلقه فى تبليغ دينه، عُلم أن الله تعالى لا يريد بخلق ذلك الحادث الغريب سوى تصديق صاحبه فيما يدعى، وتأييده فيما يقول، وبذلك تقوم حجته على

(١) الفتح

معانديه ، وتُخرس ألسنة خصومه، لأنه يطالبهم بأن يأتوا بحادث غريب كحادثه ، ويخرقوا من العادات كما خُرق له ، فاذا عجزوا عن الاتيان بمثاله قامت عليهم الحجة وظهرت لطالب الحق المحجة ليهلك من هلك عن بينة ويحى من حى عن بينه «٤٢»)[1] وقد خرق الله لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم العادات ، كما خرق لسلفه من الرسل عليهم السلام ، وأيده بالآيات البينات ، وناهيك بمعجزة هى أشرف معجزاته ، كتاب الله الناطق ، وحجته البالغة ، ومعجزته الدائمة على مدى الأيام وتكرر السنين ، أنزل الله تعالى عليه بعد أن بلغ أربعين سنة وهو أمى لم يقرأ سفرا ، ولم يتعلم خطا ، وطلب من العرب الخاص الاتيان بمثل ذلك الكتاب فضعفوا ، بل طالبهم بسورة من مثله فعجزوا ، وليس ذلك عن عُقدة فى ألسنتهم ، ولا عن عىٍّ فى قوة بيانهم ، بل لأنه فوق طاقتهم ، وخارج عن مقدرتهم ، وهنا لك آمن به من آمن فكان القرآن حجة له ، وكفر من كفر فكان حجة عليه ، هذا وإذا ظهر الحادث الغريب على يد من وقف عند حدود دينه ، ولم يدع الرسالة عن ربه فهو

(١) الانفال

كرامة من الله تعالى لذلك الصالح ، كالبركة فى طعام أبى بكر القليل ، حتى شبع منه خلق كثير ، وأمثال ذلك من خوارق العادات

البعث

قامت الأدلة القاطعة على أن الله تعالى حكيم فى صنعه ، لم يخلق الناس عبثاً ، ولم يتركهم سدى ، لذلك كان من الحكمة أن تكون لهم حياة وراء هذه الحياة ، ينصف فيها المظلوم من الظالم ، ويقام فيها قانون العدل بين الخلائق (أيحسبُ الإنسانُ أن يُتركَ سُدًى «٣٦» ألم يكُ نطفةً من مَنِيٍّ يُمنَى «٣٧» ثم كان علقةً فخلق فسوّى «٣٨» فجعل منه الزوجين الذكرَ والأنثى «٣٩» أليس ذلك بقادرٍ على أن يُحيِيَ الموتى «٤٠»)[1]

ولو فكر الإنسان فيما حوله من عبر وآيات ؛ وما على الأرض من نبات مختلف وجنات منشآت ؛ وكيف يحيى الله بالماء الأرض بعد موتها ؛ وتهتز وتربو بعد جمودها ، لعلم أن من قدر على ذلك قدير على أن يعيد الخلق إلى ما كانوا ، ويرد إليهم الحياة بعد أن فارقتهم زمناً طويلا (فانظر إلى آثارِ رحمةِ اللهِ كيف يُحيِي الأرضَ

---

(١) القيامة

بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شىء قدير «٥٠»)[١]
(أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج «٦» والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج «٧» تبصرة وذكرى لكل عبد منيب «٨» ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد «٩» والنخل باسقات لها طلع نضيد «١٠» رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج «١١»)[٢] وأى فرق بين الاعادة والبدء ؛ فإذا كان الله تعالى هو الذى بدأ الخلق ووهب الحياة فما الذى يحول بينه وبين الاعادة ؟ (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهى رميم «٧٨» قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم «٧٩» الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون «٨٠» أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم «٨١» إنما أمره إذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون «٨٢» فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون «٨٣»)[٣]

(١) الروم (٢) ق (٣) يس

على أن من شأن الاعادة أن تكون أيسر من البدء، لأنها جمع لمتفرق، والبدء إنشاء واختراع، وإن كان الكل تتناوله قدرة الله تعالى ولا يخرج عن سلطانه (وهو الذى يبدأ الخلقَ ثم يُعيده وهو أهونُ عليه وله المثلُ الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيزُ الحكيم «٢٧») [1]

اليوم الاخر

اتفقت الكتب السماوية. والشرائع الآلهية. على أن هناك يوما هو آخر أيام الدنيا. يقف الله تعالى فيه الناس على مقادير أعمالهم. ويحاسبهم على ما قدموا للقاء ربهم. تساق فيه الخلائق بعد خروجها من القبور إلى ربها سوقا. ويجمع الله فيه الموتى فلا يترك منهم فردا (ويوم نُسيّر الجبالَ وترى الأرضَ بارزةً وحشرناهم فلم نُغادر منهم أحداً «٤٧» وعُرضوا على ربك صفاً لقد جئتُمونا كما خلقناكم أولَ مرةٍ بل زعمتم أن لن نجعلَ لكم موعدا «٤٨» وَوُضعَ الكتابُ فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتابِ لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً

(١) الروم

إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا « ٤٩ »[1]

وكثيرا ما يخوفنا الله تعالى شدة ذلك اليوم ويحذرنا شره المستطير (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون « ٢٨١ »[2] يوم يحاسب فيه كل على ما تقدم ، ويجزى عليه الجزاء الأوفى . لا ينفع فيه مال صاحبه . ولا يدفع فيه ولد عن أبيه (يوم لا ينفع مال ولا بنون « ٨٨ » إلا من أتى الله بقلب سليم «٨٩»[3] تنقطع فيه الصلات، وتتفرق فيه الجماعات ، إلا صلة أساسها الدين ، وعروتها الايمان (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين «٦٧»[4]

يشتد فيه بالخلائق الأمر . ويعظم بينهم الخوف . حتى تنسى المرضعة من شدة الأمر رضيعها . وتضع ذات الحمل حملها (يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد «٢»[5]

(١) الكهف (٢) البقرة (٣) الشعراء (٤) الزخرف (٥) الحج

فلا يجرؤ نبي مرسل . ولا ملك مقرب. أن يشفع لأحد من الخلق إلا بعد أن يستأذن ربه في وساطته . ويرضى عنه في شفاعته (وقالوا اتخذ الرحمنُ ولداً سبحانَه بل عبادٌ مكرَمون « ٢٦ » لا يسقبونَه بالقولِ وهم بأمرِه يعملون «٢٧» يعلمُ ما بينَ أيديهم وما خلفَهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيتهِ مشفقون « ٢٨ » [(١)]) (إن ربَّكم اللهُ الذى خلق السمواتِ والأرضَ في ستةِ أيامٍ ثم على استوى العرش يُدبِّرُ الأمرَ مامن شفيع إلا من بعدِ إذنِهِ ذلكم اللهُ ربكم فاعبدوه أفلا تَذكرون «٣» [(٢)]

ولا تزال الناس كذلك حتى يُفصل بين الخلائق ، فإما إلى جنة أعدها الله للمتقين . وإما إلى نار أعدها للعصاة والمجرمين (ويومَ تقومُ الساعةُ يومئذ يتفرقون «١٤» فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ فهم في روضة يُحبَرون«١٥» وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرةِ فأولئك في العذاب مُحضَرون«١٦» [(٣)] (فأما من طغى «٣٧» وآثرَ الحياةَ الدنيا «٣٨» فإن الجحيمَ هى

---

(١) الانبياء (٢) يونس (٣) الروم

المأوى «٣٩» وأما من خاف مقامَ ربِّه ونهى النفسَ عن الهوى «٤٠» فإن الجنةَ هى المأوى «٤١»)[١]

خاتمة فى السمعيات

قد قام البرهان القاطع على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق فيما يقول، محق فى كل ما ادعى . فوجب أن نؤمن بكل ما أخبر به عن ربه . لأن العقل لا يحيله . والمعصوم قد أتى به . نؤمن بأن لله تعالى رسلا لا يعلم عددهم غيره . منهم من قص الله على رسوله صلى الله عليه وسلم خبرهم . ومنهم من سكت عنه . وأن لهم كتباً سماوية كالتوراة التى أنزلها الله على نبيه موسى . والانجيل الذى أنزاه الله تعالى على رسوله عيسى . والزبور الذى أنزله على نبيه داود . والفرقان الذى أنزله الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبيائه

ونؤمن بأن لله تعالى جنداً عظيما من الملائكة . وهم عالم مغيب عنا لا تراه أعيننا . ولا تلمسه أيدينا . وأنهم عباد الله مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . لا يعصون الله ما أمرهم

(١) النازعات

ويفعلون ما يؤمرون وفيهم العامة والخاصة. وفيهم جبريل وميكائيل وملك الموت وحملة العرش، وخزنة الجنة والنار والحفظة الذين يتعاقبون فينا. ملائكة بالليل وملائكة بالنهار. وغيرهم مما لا يحيط بعددهم إلا الله تعالى ولا يقف على تفاصيل أحوالهم غيره

ونؤمن بأن لله جنداً آخر من الجن، وهو عالم مغيب عنا كالملائكة وفيهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم لهم كما بعث للانس (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآنَ فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضيَ ولّوْا إلى قومهم منذرين «٢٩» قالوا ياقومَنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعدِ موسى مصدقا لما بينَ يديه يَهدى إلى الحقّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ «٣٠» يا قومنا أجيبوا داعيَ اللهِ وآمنوا به يَغْفِرْ لكم من ذنوبِكم ويُجِرْكم من عذابٍ أليم «٣١» ومن لا يُجبْ داعيَ اللهِ فليس بمعجزٍ في الأرضِ وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلالٍ مبين «٣٢») [1]

ونؤمن بأن الله تعالى يُرى في الآخرة كما يليق بجلاله.

---

(١) الاحقاف

ونؤمن بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر ولا يأمرهم بالفحشاء، وأنه تعالى خالق كل شيء، وأن للعبد أفعالا اختيارية عليها يعذب ويثاب، ولا يكلف الله تعالى أحداً إلا ما فى وسعه، وأن النفس لا تموت حتى تستكمل أجلها، وأن الله تعالى فضل الرسل على العالمين كما فضل بعضهم على بعض

ونؤمن بأن الدعاء ينفع الداعى ولا يغير شيئاً من علم الله تعالى، كما أن الضرب فى الأرض لطلب الرزق ينفع صاحبه ولا يغير شيئاً من سنن الله فى الكون المبنية على ربط الأسباب بمسبباتها والمقدمات بنتائجها، فالذى يدعو ليجاب، كالذى يأكل ليشبع، ويشرب ليرتوى، ويزرع ليحصد، ويتعلم ليعلم، فالدعاء سبب عادى شرعى له أثره، وتعقبه نتيجته، ما دام قد استوفى ما شرط فيه نسأل الله تعالى أن يجيب دعوتنا، ويتقبل عملنا (اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر» (ربِّ أوزعنى أن أشكرَ نعمتكَ التى أنعمتَ علىَّ وعلى والديَّ وأن أعملَ صالحاً ترضاه

• وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين «١٩»)[1] (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين «٢٨٦»)[2]

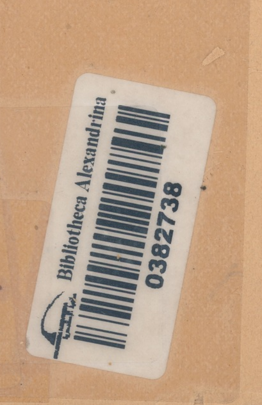
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون

وكان الفراغ من جمع هذه الرسالة صبيحة يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ الموافق ٨ دبسمبر سنة ١٩٢٥ م

محمد أحمد العدوى

(١) النمل (٢) البقره

فهرس


Bibliotheca Alexandrina
0382738